

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة السادسة والثمانون

مالك بن أنس (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفقى ولم يتجاوز سن الحادية والعشرين .

إنه شيخ الإسلام ، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك ابن أنس بن مالك، وأمه هي عالية بنت شريك الأزدية .

كان مولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين، عام موت أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشأ في صون ورفاهية وتحمل .

طلب صاحبنا مالك بن أنس (رحمه الله) العلم وهو حدث بعيد موت القاسم وسالم فأخذ عن نافع وسعيد المقبري وعامر بن عبد الله بن الزبير وابن المنكدر والزهري وعبدالله بن دينار وغيرهم .

وقد حج قديماً ولحق عطاء بن أبي رباح فقال مصعب الزبيري سمعت ابن أبي الزبير يقول حدثنا مالك قال رأيت عطاء بن أبي رباح دخل المسجد وأخذ برمانة المنبر ثم استقبل القبلة .

طلب مالك العلم وهو ابن بضع عشرة سنة وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك وازدهموا عليه في خلافة الرشيد وإلى أن مات.

إن مالك بن أنس (رحمه الله) يعد أنموذجاً رائعاً لشباب الإسلام فقد بذل نفسه في طلب العلم وهو حدث السن، فلم تشغله الدنيا وزينتها عن طلبه للعلم وبذل نفسه فيه ، فإن مالك بن أنس (رحمه الله) وأمثاله من شباب صدر الإسلام يعرف قيمة العلم ، ويعرف ما ينفعه في دينه ودنياه ، ولذا فقد أشغل نفسه بما ينفع وترك ما دون ذلك، وأما حال بعض الشباب في القديم والحديث من الذين لا يدركون مصالحهم يشغل نفسه في فترة شبابه بالملاهي والشهوات ، ولسان حاله يقول ، أمتع نفسي ما دمت شاباً ، وإذا كبرت أصلحت نفسي ، فعجباً لمن كانت هذه حاله ، ومن يضمن له أن يعيش إلى أن يكبر ، ثم ليعلم هذا وأمثاله من شباب اليوم أن من شب على شب شاب عليه ، إلا من رحم الله ومن عليه بالتوبة والهداية ، فإنه في الغالب أن الذي يعيش على حال يصعب عليه حال كبر سنه أن يغير حاله .

لقد اغتنم مالك بن أنس (رحمه الله) فترة شبابه في طلب العلم النافع حتى بلغ منه مبلغاً وهو صغير السن ، وقد عرف له الناس قدره ، وأثنوا عليه بما هو أهله .

قال الذهبي عنه : كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وزيد بن ثابت وعائشة ثم ابن عمر ثم سعيد بن المسيب ثم الزهري ثم عبيد الله بن عمر ثم مالك .

وقال أيضاً : ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة والقاسم وسالم وعكرمة ونافع وطبقتهم ثم زيد بن أسلم وابن شهاب وأبي الزناد ويحيى بن سعيد وصفوان بن سليم وربيعة بن أبي عبد الرحمن وطبقتهم فلما تفانوا اشتهر ذكر مالك بها وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن الماجشون وسليمان بن بلال وفُلَيْح بن سليمان والدَّارُوردي وأقرانهم

فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق والذي تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق رحمه الله تعالى.

وعن ابن عيينة قال: مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه .

وقال الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم .

وقال ابن عبد البر وغير واحد ليس العُمري ممن يَلْحَقُ في العلم والفقهِ بمالك وإن كان شريفا سيّدا عابدا .

وقال أبو عبد الله الحاكم وذكر سادة من أئمة التابعين بالمدينة كابن المسيب ومن بعده قال فما ضربت أكباد الإبل من النواحي إلى احد منهم دون غيره حتى انقضوا وخلا عصرهم ثم حدث مثل ابن شهاب وربيعة ويحيى بن سعيد وعبد الله بن يزيد بن هُرْمَز وأبي الزناد وصفوان بن سليم وكلهم يفتي بالمدينة ولم ينفرد واحد منهم بأن ضربت إليه أكباد الإبل حتى خلا هذا العصر، فلم يقع بهم التأويل في عالم أهل المدينة ثم حدث بعدهم مالك فكان مفتيها فضربت إليه أكباد الإبل من الآفاق واعترفوا له وروى الأئمة عنه ممن كان أقدم منه سنا كالليث عالم أهل مصر والمغرب وكالأوزاعي عالم أهل الشام ومفتيهم والثوري وهو المقدم بالكوفة وشعبة عالم أهل البصرة إلى أن قال وحمل عنه قبلهم يحيى بن سعيد الأنصاري حين ولّاه أبو جعفر قضاء القضاة فسأل مالكا أن يكتب له مئة حديث حين خرج إلى العراق ومن قبل كان ابن جريج حمل عنه .

وكما كانت مكانة الإمام مالك (رحمه الله) عند أهل العلم والفضل ، فقد كانت له المكانة أيضاً عند الخلفاء والامراء بما نال من العلم ، فعن أبي مصعب قال : سمعت مالكا يقول دخلت على بي جعفر أمير المؤمنين وقد نزل على مثال له -يعني فرشته- ... وجاء صبي يخرج ثم يرجع فقال لي أتدري من هذا قلت لا قال هذا ابني وإنما يفزع من هيبتك ثم ساءلني عن اشيائها حلال ومنها حرام ثم قال لي أنت والله أعقل الناس وأعلم الناس قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال بلى ولكنك تكتم ثم قال والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف ولأبعثن به إلى الآفاق فلاأحملهم عليه .

إل شبابنا في هذا الزمان نسوق تلك الأقوال التي قيلت في الإمام مالك (رحمه الله) ونقول بعد ذلك: بماذا أدرك الإمام تلك المكانة في قلوب الناس ؟ لا شك أنه لم يدركها بشهادة دراسية، ولا برتبة عسكرية ، ولا بمركز مالي أو منصب وظيفي ، وكذا لم يدركها بشهرة فنية أو رياضية . إنما أدرك ما أدرك بما حصل من العلم النافع والعمل الصالح الذي يتغني به وجه الله سبحانه وتعالى، فمن أحب الله أحبه الله وحب إليه الناس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوه فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. أخرجه مسلم نسأل الله الهداية والتوفيق لشبابنا .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .